obeikandl.com

obeikandl.com

٧١٧ - دلالة: قوله: ﴿**قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[1] يدل على أن الوعيد الوارد عن الله لا يتبدل ولا يتغير. وأنه لا يجوز أن يكون فيه إضمار وشرط. ولا يكون خارجًا على وجه التعمية. ولا يجوز فيه الخلف، لأن كل ذلك يقتضى التبديل، وقد أبى الله تعالى ذلك فى وعيده.

وبين أنه وإن فعل ما توَّعد به، فليس بظلام للعبيد، لأنه لم يفعل بهم إلا ما استحقوه من العقاب على ما كان منهم من المعاصى.

وتنزيهه تعالى أن يكون ظلامًا للعبيد يدل على أنه لم يفعل الظلم ولا القبيح، على ما قدمناه ذكره فى نظائره.

٧١٨ - وقوله تعالى: ﴿**لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ**﴾، يدل على بطلان مذهب المجبرة؛ لأنه بين [أنه] لا فائدة فيما يخاصمه قرينه فى الآخرة، فلو كان الأمر على ما يقوله القوم، لوجب أن يكون الموكِّد لعذرهم والمزيل للعقاب عنهم، ما وجب كونهم خصما لله تعالى! بأن يقولوا إنما كفرنا لأنك خنقت فينا ذلك فينا وأوجبته بالقدرة التى لا تخلو عند وجودها من الكفر، وبالإرادة وبقدرة الإرادة.

فكيف يجوز أن تعذبنا وقد منعتنا ولم تسهل لنا السبيل إلى ما فرضته علينا، بل منعتنا من فعله بوجوه من المنع، فكيف المخلص لنا من الكفر، وهل ما تفعله فينا من العقاب إلا بالكفر الذى فعلته، فى أنه لا سبيل لنا إلى التخلص منه؟! فتكون هذه الخصومة مبنية لعذرهم، ومزبلة للعقوبة، إن كان

---

(١) سورة ق - الآيتان ٢٨، ٢٩.

obeikandl.com

القديم تعالى ممن يعمل بالحكمة والصواب. تعالى الله عما يقوله القوم علواً كبيراً.

٧١٩ - وقوله تعالى: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾[١] لا يدل على أنه، عليه السلام، يشفع لهم من حيث ضمن الزيادة، فلا يكون فى الشفاعة فائدة، وذلك أنه تعالى بين أن لهم المزيد عنده، ولم ينف أن يكون ذلك بالشفاعة ولا أثبتها، فيجب أن يكون الأمر موقوفًا على الدليل، وإن كان لا يمتنع أن يقال إن هناك زيادتين: إحداهما هذه، والأخرى تنال بالشفاعة، فلا يتنافى ذلك.

٧٢٠ - وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾[٢] وتعلقهم بذلك فى أنه الخالق لأفعال العباد، فقد تقدم القول فيه من قبل.

٧٢١ - وقوله تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**﴾[٣] لا يدل على أن من لا يخاف ذلك لا يُذكَّر بالقرآن، وإنما خصه بالذكر؛ لأنه الذى انتفع به عاجلا بالاعتبار والتذكر والانزجار، والكلام فى ذلك كالكلام فى قوله تعالى: ﴿**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[٤] وقد تقدم ذلك.

* * *

(١) سورة ق: الآية ٣٥.
(٢) سورة ق: الآية ٣٨.
(٣) سورة ق: الآية ٤٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٧٢٢ - قوله تعالى: ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[١] يدل على أن الإيمان هو الإسلام، وإلا لم يصح فى المعنى استثناء أحدهما من الآخر، ويحل الكلام فى محل قول القائل: فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير جماعة من العرب! فى أن ذلك لغو لا فائدة فيه.

٧٢٣ - وقوله تعالى: ﴿**فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ**﴾[٢] قد تقدم القول فيه فى الشعراء.

٧٢٤ - وقوله: ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾[٣] قد بينا أن المراد بذلك الأشياء المشاكلة التى يحصل لها بالانضمام حكم وفعل، لولاه لما حصل، ولذلك يقال فى الذكر والأنثى: زوجين، ويقال: زوج نعل، وزوج خف؛ إذ حصل لها بالاقتران الحكم المعقول، وذلك لا يصح فى أفعال العباد، فلا يمكن أن يدَّعوا دخوله فيه.

وقد فسر تعالى ذلك فى سورة النجم، فقال: ﴿**وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ**﴾[٤] فبين أن المراد بذلك ما قلناه.

٧٢٥ - فأما قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[٥] فبين فى الدلالة على أنه خلق جميعهم للعبادة، وأنه أراد منهم ذلك إذا بلغهم حد

---

(١) سورة الذاريات - الآيتان ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٤٠.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٤٩.

(٤) سورة النجم: الآية ٤٥.

(٥) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

obeikandi.com

التكليف، فأما المجنون ومن لم يبلغ هذا الحد، فلا يجوز دخوله فى الكلام؛ لأنه يتضمن أنه أراد العبادة ممن تصح منه.

ولا يمكن حمله على أن المراد الانقياد بما يريده من الخضوع والخشوع، على ما زعمه بعض من يقول فى المعارف إنها ضرورية، وذلك أن ظاهر العبادة هو ما يختاره العبد من الفرائض التى يقوم بها، ومن النوافل، دون ما ذكروه، وإن كنا نخالف القوم فيما قالوه، ونقول فى المعارف: إنها اكتساب إذا كانت معارفًا بالله تعالى، وبالرسول، ﷺ، وبالشرائع.

ولا يجوز أن تحمل الآية على أن المراد بها من المعلوم أنه يعبد؛ لأن ذلك تخصيص من غيره دلالة، فإن قال: يدل على ذلك قوله: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ**﴾[1]، قيل له: لابد فى هذه الآية من حذف مقدر، فإما أن تقدر فيه: ولقد ذرأنا للكفر الذى يؤديهم إلى جهنم، أو لكى يدخلوا جهنم؛ لأنه لا يجوز أن يكون خلقهم تعالى لجهنم، التى هى للأجسام المخصوصة، فإذا وجب ذلك، حصلت الآية داخلة فى المجاز، فوجب حملها على مطابقة ما قدمناه، وذلك يقتضى أن يكون المراد باللام الداخلة فيها العاقبة، على ما قدمناه من قبل.

٧٢٦ - وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾[2] فلا يدل على إثبات القوة بما يصير قويًا قادرًا، على ما يقوله أصحاب الصفات، وذلك أن إضافة القوة إليه على هذا الحد، لا تفيد أنها قوة له يصير بها قويًا؛ لأن هذه الإضافة قد تجرى على وجوه شتى، وقد بينا ذلك من حالها، فمن أين أنه

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٨.

تعالى هو القوى بها دون أن تكون قوته لغيـره، وأضيفت إليه من حيث كانت عطية من جهة؟

والمراد عندنا بذلك: أنه قوى علـى الأمور، قادر عليهـا، ولا يجوز أن يمنعه مانع منهـا. وعلى هذا الحد من المجاز وصف نفسه بأنه مـتين، لما كان المتين منا الصلب: هو الجـسم يكون أقوى من غيره، فلما أراد تعـالى المبالغة لنفسه فى الوصف بالقوة، قال هذا القول.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٧٢٧ - أمـا تعلقهم بقـوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾[١] فى أن الابن يصير مؤمنًا بإيمان الأب، وأن ذلك إذا صح فيه، لم يمتنع أن يكون طفل الكافـر كافرًا بكفر أبيه فى الحـقيقة، فبـعيد، وذلك أنه ليس فى ظاهره إلا أنه ألحق ذرِّيتهم بهم، وليـس فيه بيان أنهم غيـر بالغين، فقـد يقع هذا القول على أولاد الرجل وإن بلغوا، ولذلك قـال تعالى: ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ**﴾[٢].

فإذا صح ذلك، فالمراد: أنه تعالى ألحقـهم بهم من حيث شاركوهم فى الإيمان، فـاستحـقوا ما اسـتحقـوه من الثواب والجزاء، ولذلك قـال تعالى: ﴿**وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ**﴾ فخبر عن الوجه الذى اتبعتهم فيه. وقد قال تعالى فى آخره: ﴿**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾[٣] مبنيًا بذلك ما ذكرناه.

٧٢٨ - وقوله: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ**﴾[٤] هو إثبات الفـاعل الخالق، وهو المراد بالشىء المذكور؛ لأن الدلالة قد دلت عندنا على أن الفاعل يخترع فعله، لا أنه يفعل الفعل من شىء سواء، فالمراد إذن ما ذكرناه.

٧٢٩ - وقوله: ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾[٥] لا يدل على مـا تقوله لشبهة؛ لأن ذلك يوجب أن يكون له أعينًا، وليس أول الجمع بذلك أولى من آخره! فيـوجب ذلك إثبات عيون له لا آخره لـها، وأن لا يوقف على حد لا يصح إثبات أكـبر منه، وذلك يبطل قـولهم؛ لأن من يصرح بالجـسم منهم،

---

(١) سورة الطور: الآية ٢١.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٨٤.
(٣) سورة الطور: الآية ٢١.
(٤) سورة الطور: الآية ٣٥.
(٥) سورة الطور: الآية ٤٨.

obeikandi.com

وبإثبات الجوارح، يثبته كمـثل صورة آدم، ولا يثبت له إلا عينين. فيجب أن يكون المراد بذلك: إثباته عالمًا بجميع ما يحـصل من العباد. وهذا كما يقال: إن هذا الشيء وقع بمرأى منى ومسمع؛ إذا كان عالمًا بتفصيله.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٧٣٠ - وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ**﴾[١] ربما استدل [به] بعض الجهال فى أنه تعالى يرى، وأن رسول الله، ﷺ، رآه مرة بعد مرة، وهذا باطل، لأن المراد بذلك جبريل، عليه السلام، والكلام يدل عليه؛ لأنه قال من قبل: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ**﴾[٢] وهذا كله من صفات جبريل، عليه السلام، ثم قال بعد ذلك: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ**﴾[٣] فأثبته رائيًا مرة، ثم قال: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**﴾[٤]. فأثبته له رائيًا مرة أخرى، ورسول الله، ﷺ، وإن رآه الكثير، فلم يره على صورته التى هو عليها إلا هاتين المرتين، ومتى قال القائل إن فى جميع ذلك المراد هو الله، فقد علمنا أنه تعالى لا يوصف بالدنو والتدلى، ولا يحد بقاب قوسين أو أدنى؛ لأن كل ذلك يستحيل فيه!

وبعد، فلم صار بأن يحمله على أنه المراد بأولى مما ذكرناه، وليس فى الكلام ما يوجب لما قاله مزية، بل الذى قلناه أولى، لأن الذى يحمل الوحى إليه، ﷺ، هو جبريل، وذكره قد تقدم، فرجوع الكلام إليه أولى، وإن كان لو تقدم ذكرهما، لوجب ما قلناه؛ لأن الوصف المذكور يليق بجبريل دونه تعالى؛ ولأن العقل قد دل على استحالة الحركات عليه، والمجئ والذهاب.

٧٣١ - وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**﴾[٥] فإنه يدل على أن الإلمام بصغائر المعاصى يغفر باجتناب الكبائر،

(١) سورة النجم - الآيتان ١٣، ١٤.
(٢) سورة النجم - الآيات ٥ - ٨.
(٣) سورة النجم: الآية ١١.
(٤) سورة النجم: الآية ١٣.
(٥) سورة النجم: الآية ٣٢.

obeikandi.com

ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾(١).

٧٣٢ - فأما دلالة قول تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾(٢) على أن أحداً لا يؤخذ بذنب غيره وأنه يجازى على فعله، وأنه لا يجوز أن يكون ما يجازى عليه من خلق الله فيه؛ فبين لا يحتاج فيه إلى الإكثار فيه.

٧٣٣ - وأما تعلقهم فى المخلوق بقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾(٣) فى أنه تعالى يخلق الضحك والبكاء، وأن ذلك حكم سائر الأفعال، فبعيد، وذلك أن ظاهره إنما يقتضى أنه أضحكَ وأبكى، ولم يذكر متى فعل ذلك وفيه، وليس فى الكلام ما يوجب ذلك العموم فيحمل عليه؛ لأن هذا القول يصح إذا كان ما فعله من الضحك أقل ما يقع الاسم عليه، فهو كقولنا: فلان ضرب؛ فى أنه لا يقتضى العموم.

وبعد، فلو ثبت أنه أضحك وأبكى، لم يوجب ذلك فى أفعال العباد ما قالوه، لأن البكاء الذى هو إرسال الدمعة، من فعله تعالى، والضحك الذى هو التفتح، قد يجوز أن يكون من فعله، ولا ينافى إضافة الأمرين إليه، ما نقوله من أن العبد فاعل فى الحقيقة.

وبعد، فإن ذلك يوجب أن يوصف تعالى من كل فعل فعله عندهم بمثل ذلك، فيقال: إنه تعالى جهَّل وفسَّق وقتل، إلى سائر الأسماء المشتقة، ولا يرتكب القوم ذلك.

---

(١) سورة النجم: الآية ٣٣.

(٢) سورة النجم: الآيات ٣٧ - ٤٠.

(٣) سورة النجم: الآية ٤٣.

obeikandi.com

فالمراد بالآية: أنه تعالى فـعل السبب الذى عنده وقع منهم ذلك، وأراد بالضحك ما قالوه من السرور، وبالبكاء خلافه.

وقد قيل: إن المراد بذلك العقاب والثواب.

٧٣٤ - فأمـا قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾[1] فلا يدل إلا على مـا يقتضـيه ظاهره من أنه المغنى، وكـذلك نقول: إن جـميع مـا يستـغنى به المؤمن [من] الأموال، هو من عند الله تعـالى وإن كان يختلف حـاله؛ ففيه مـا يحصل له بكسب ومشـقة، ومنه ما يحـصل إليه عفـواً من غير كـد وطلب. وما يصل العبد إليه ويحتوى عليه من الحرام لا يسـتغنى به فى الحقيقة، فلا يدخل تحت الظاهرة على وجه.

***

(١) سورة النجم: الآية ٤٨.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٧٣٥ - أما قـوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[١] وما يستدل بذلك فى إثبات العين له تعالى، فقد بينا من قبل، وبينا أن الله تعالى هو الحامل لـراكب السفينة فـى الفلك، بالأمور التى يفـعلها فى المسـاء حتى يجرى أو يقف، فلا تعلق للمجبرة فى ذلك.

٧٣٦ - وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٢] يدل على أنه تعالى بعثهم عن الأذكار وعلى الاتعاظ، وعلى أن يقوموا بالواجب فى ذلك، ولا يجوز أن يكون كذلك إلا وقـد أراد ذلك من جميعهم، فـلا تخصيص. وذلك يدل على أنه قد أراد من الكافر الطاعة، كما أراد من المؤمن.

٧٣٧ - فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٣] فلا يدل على ما تقوله المجبـرة، من أنه تعـالى يخلق أفعـال العبـاد، وذلك أن الآية واردة فى النار وعذابها، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٤] فبين ذلك أنه لا يعذب أحدًا إلا بقدر استحقاقه.

ولو حمل على العموم، لصلح أن يقال: إن كل شىء خلقه بقدر؛ لأنه ممن لا يجوز عليـه السهـو والغفلة فى أفعـاله تعالى، كالـواحد منا، ف يقع الشىء إلا مقدرًا.

٧٣٨ - وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[٥] يدل على أنه ليس بجسم؛ لنه لو كان كـذلك لم يكن ما يفعله يجرى على حـد واحد، بل كان

(١) سورة القمر - الآيتان ١٣، ١٤.
(٢) سورة القمر: الآية ١٧.
(٣) سورة القمر: الآية ٤٩.
(٤) سورة القمر - الآيتان ٤٨، ٤٩.
(٥) سورة القمر: الآية ٥٠.

obeikandi.com

يجب أن يكون بعـضـه أسبق من بعض، وأن يحـتـاج فى بعض إلى تطاول الأوقات دون بعض، فلما بين تعالى أن سـائر ما يريده متفق، وأنه يقع على ما يريده، كلمح بالبصر، من غير تأخير، دل ذلك على أنه ليس بجسم، وأنه قادر لذاته، يخترع الأفعال كيف يشاء وأراد.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٧٣٩ - أما قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[١] فإنه لا يدل على قولهم فى المخلوق - لأن الله أضاف إلى نفسه تعليم البيان والقرآن - لأن العلم بهذين ضرورى، ولا يمكن إلا من قبله تعالى، فأما العلم بالقرآن، فهو الحفظ له على الوجه الذى يمكنه أن يؤديه ويتلوه. وأما العلم بالبيان، فهو العلم بكلام العرب، ومواضعتها، ومواقع فائدته، وذلك كله ضرورى يحصل بالعادة، فلا يمتنع من إضافتها جميعًا إلى الله تعالى على الحقيقة، وذلك يدل على حدث القرآن[٢]؛ لأن تعلمه إنما هو طريقة الحفظ لترتيبه، وذلك يقتضى حدثه، ولا يجب من حيث فصل بين القرآن وبين الإنسان، فوصفه بأنه علمه، والإنسان بأنه خلقه، أن يدل فى ذلك على أن القرآن ليس بمخلوق، على ما زعمه بعض الجهال، وذلك لأن كون الشىء موصوفًا لا يمتنع من أن يختص بصفة أخرى، فما الذى يمنع من أن يكون تعالى خلق الأمرين، وإن كان فى هذه الآية لم يذكر إلا خلق الإنسان؟!

وكان يجب على هذه الطريقة أن يكون البيان غير مخلوق أيضًا؛ لأنه تعالى فرق بينه وبين الإنسان. وكان يجب مثل ذلك فى سائر الأجسام، من حيث خص تعالى انسان بالذكر. وهذا فى نهاية البعد.

٧٤٠ - وأما قوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ**﴾[٣] فلا يدل على إثبات وجه له، تعالى عن قولهم، وذلك لأن الوجه قد يراد به ذات الشىء، وعلى هذا تقول العرب: هذا وجه الرأى، ووجه الأمر، ووجه الطريق. ومتى كان الكلام فيما لا بعض له، فلا شك أن المراد به ذاته فيختلف موقع هذه

---

(١) سورة الرحمن: الآيات ١ - ٤.

(٢) سبق أن نبهنا إلى أن جمهور علماء الإسلام على أن القرآن قديم غير مخلوق على خلاف ما يزعم المعتزلة.

(٣) سورة الرحمن: الآيتان ٢٦، ٢٧.

obeikandl.com

اللفظة بحسب حال ما يستعمل فيه، فإذا صح ذلك وب أن يكون المراد بذلك: ويبقى ربك.

٧٤١ - وأما تعلق المشبهة بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[١] وبقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ﴾[٢] فى أن الفراغ والشغل لا يجوزان إلا على الأجسام، وهى التى يجوز عليها الشأن، إذ هى اشتغلت بالفعل، فلولا أنه تعالى جسم، لما صح ذلك عليه؛ فبعيد، وذلك أن ظاهر الشأن لا يقتضى ما قالوه؛ لأنه الأمر الذى يفعله ويؤثره على غيره.

فلا يمتنع أن يوصف تعالى بذلك، وإن كان ممن لا يشتغل بفعل عن فعل - فلذلك ذكر تعالى أنه لا يشغله شأن عن شأن - فيراد به هذا المعنى.

فأما الفراغ، فإنه لا يجوز إلا على من يجوز عليه الشغل، ومتى حمل الكلام على حقيقته، لزمهم القول: بأنه تعالى يفعل الأفعال فى نفسه، فيشتغل بها، ويمنعه ذلك من غيره من الأفعال، وذلك مما لا يرتكبه مسلم؛ لأنهم يقولون بأنه يفعل فى غيره، وأنه لا يشتغل بفعل عن فعل، فالمراد بالآية التهديد دون وصف نفسه بالفراغ؛ لأن هذه اللفظة قد جرت العادة فيها بمثله؛ لأن القائل مناقد يقول لغيره: سأفرغ لك.

إذا أراد أن يهدده ويبكته فى أمر يفعله. ولولا أن المراد بذلك، لوجب أن يكون تعالى فى حال هذا الخطاب كان مشغولاً عن هذا الأمر، الذى ذكر أنه يفرغ له، وكان لا يمكنه أن يفعله فى الحال. وذلك مما لا يرتكبه أحد!!

٧٤٢ - وأما قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٣] فلا يدل على أنه - تعالى - فى مكان، وهو قائم فيه حتى صار مقامًا له، وذلك أنه تعالى

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٤٦.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٣١.

obeikandl.com

وعد من يخاف ورغبة، وقد علمنا أن الخوف لا يجوز أن يكون من مكانه ومقامه، حتى يكون ذلك مرغبًا فى الطاعة، وصارفًا عن المعصية، فيجب أن يجعل الكلام على أن المراد به: أن من خاف مقامه، ووقوفه للمساءلة، والمحاسبة بفعل الطاعة، فله الثواب. وأضاف المقام إلى الله تعالى وإن كان مقامًا للعبد، لأنه بحيث يحكم تعالى، ولأن الموضع المعد من قبله لوقوف العبد، ومقامه فأضيف إليه تعالى لذلك.

٧٤٣ - وقوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾[1] فأحد ما استدل به أصحابنا، رحمهم الله، على العدل، وذلك أن المطيع قد يعبد الله المدة الطويلة، فيحسن بذلك، ثم يرتد ويموت عليه.

فلو كان تعالى خلق الكفر فيه، لكان قد جازى المحسن بالإساءة التى لا غاية أكبر منها، وذلك يكذب ما تقتضيه الآية، فإذن يجب أن نقطع بأنه لا يجوز أن تخلق - تعالى - الكفر والردة، وأنهما من فعل العبد، حتى إذا عافيه، لم يفعل إلا باستحقاق، ولا يفعل تعالى بالمحسن إلا الإحسان فى الحقيقة، إلا إذا أحبط المحسن إحسانه وأفسده.

***

(١) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٧٤٤ - أما قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ**﴾[١] فإنه لا يدل على أن فعل العبد الله خَلَقه، وذلك أنه وصف العبد بأنه يُمنى من حيث يحصل الإنزال، واستقرار الماء فى الرحم عنه. ثم ذكر أنه تعالى يخلق ذلك ولدًا مصوَّرًا، وهذا هو الذى يقتضيه ظاهره وبه نقول.

وقد بينا من قبل، أن إنزال الماء لا يمكن أن يقال: إنه من فعل العبد أيضًا وإن كان قد يحصل له فيه فعل، وشرحنا القول فيه، فتعلقهم بذلك لا يصح على وجه.

٧٤٥ - وأما تعلقهم بقوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾[٢] فى أن طرح البذر والحرث، كان يكون من خلقه تعالى وأن العبد [ما] فعَله، فبعيد، وذلك لأن الزرع قد اختلف فيه، فمنهم من قال: إنه اسم للنبات الظاهر، وهذا هو من خلقه تعالى، لأنه الذى يُنبت الزروع وينميها، ويجعلها بالصفة التى تحصل عليها، ومنهم من قال: إنه طرح البذر.

ولذلك يقول القائل: قد زرعنا الحنطة والشعير، إذا بذره. وعلى هذا القول؛ فى الكلام ما يدل على أن المراد به ما قلناه أولاً، لأنه قال: ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ**﴾ فأضاف الحرث إليهم، ثم قال: ﴿**أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ**﴾ يعنى ما تقدم ذكره، فيجب أن يكون المراد به: النبت والظهور، على الوجه الذى قلناه.

---

(١) سورة الواقعة: الآيتان ٥٨، ٥٩.

(٢) سورة الواقعة: الآيتان ٦٣، ٦٤.

obeikandl.com

ومن وجه آخر، وهو أنه تعالى عـدَد فى ذلك عظيم نعمه، ولا يليق به طرح البذر، فـيجب أن يكون محـمولاً على ما ذكـرناه، مما يؤدى إلى منافع الخلق وقيام أبدانهم به.

٧٤٦ - وأما قـوله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ**﴾[١] فلا يدل عـلى جواز القرب على الله - تعالى - لأن الكلام فيمن حضره الموت وعاينه، وهو الذى أراده بقوله: ﴿**فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ**﴾[٢] ثم قال: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ**﴾[٣] وأراد بذلك حضور الملائكة على وجه يراهم المحتضر، ولا يراهم القوم، ولو كان القرب فى الحـقيقة قد صح فيه، لوجب كـونه فى ذلك المكان، ولا يمـتنع أن يكون فى غـيـره من الأمكان كـسـائر الأجسام.

ومتى قـالوا: أنه يقرب ولا يجب ذلك فيـه، فقد نفـوا حقيقـة القرب وزالوا عن الظاهر.

***

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٥.

(٢) سورة الواقعة - الآيتان ٨٣، ٨٤.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٨٥.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٧٤٧ - قد بينا أن الجمادات إذا كانت لا تفعل التسبيح فى الحقيقة، فالواجب إذا وصفت بأنها تسبِّح، أن يحمل ذلك على أنها تدل على تنزيهه تعالى، فمن حيث حلت محل من يظهر ذلك بقوله، فهذا هو المراد بقوله، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١].

٧٤٨ - وأما قوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾[٢] فإنه من أقوى ما يدل على إبطال قول من يثبت لله تعالى علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا وصفات فى الأوّل؛ لأنها لو كانت فى الأول - على ما يقولون - لم يكن هو الأول من حيث وُجد معه غيره!

فإن قال: هذه الصفات ليست غيرًا له، وهى داخلة فى الاسم الذى يذكرونه، فيصح من هذا الوجه أن يكون هو الأول، فهذا باطل، لأنا قد بينا فى غير موضع أن إطلاق لفظة الإله لا يدخل تحته إلا ذاته تعالى، دون ما يدعونه من الصفات. وبينا أن الصفات يجب أن تكون غيرًا له، لأنها مخالفة له، ويجوز عليها مالا يجوز عليه، ومميزة ببعض الأذكار منه تعالى إذا ذكرناه بأسمائه، وذلك يحقق ما ذكرناه من الدلالة.

وقوله تعالى: ﴿وَالآخِرُ﴾ يدل على أن سائر الموجودات فى بعض الأحوال تفنى ويبقى وحده موجودًا، على ما نقوله من أنه تعالى يفنى العالم.

٧٤٩ - وأما تعلق المشبهة بقوله: ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[٣] فى أنه جسم، وأنه يجوز عليه الاحتجاب والظهور [الباطل]، وذلك أنه لو كان بهذه الصفة لم

---

(١) سورة الحديد: الآية ١.

(٢) سورة الحديد: الآية ٣.

(٣) سورة الحديد: الآية ٣.

obeikandi.com

يجب أن يوصف فى حالة واحدة بأنه ظاهر وباطن، بل كان يجب أن تختلف أحواله فى ذلك، فكان يجب أن يكون فى مكان مخصوص، وأن يكون له حد محدود، يصح أن يبطن ويظهر، وكان يجب أن يكون هذا وصفه أبدًا، على ما ذكره، وذلك يوجب إثبات الأجسام لم نزل.

فالمراد بذلك: أنه القاهر المستعلى؛ لأن من هذا حاله يقال إنه ظاهر، وإنه ظهر على الشىء، كما يقال: ظهر القوم على العدو، وهم ظاهرون عليه، والمراد بوصفه بأنه باطن: أنه عالم بالسرائر، وعلى هذا يقال: إن فلانا استبطن فلانًا إذا خصه بأحواله.

٧٥٠ - وقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾(١) فقد بينا أن ظاهره يقتضى أنه يخرج من جسم إلى جسم. ومن ظلمة إلى ضياء. ولا يقتضى الكفر والإيمان. فتعلقهم بظاهره لا يصح.

والمراد بذلك: أنه ينزل القرآن ليبعثهم بذلك على مفارقة الكفر، والعدول عنه إلى الإيمان. وذلك يدل على ما نقول من أنه تعالى يريد من جميعهم الإيمان، لأنه لم يخص بذلك قومًا دون قوم.

ولو حمل على ظاهره، لوجب أن يكون تعالى أنزل القرآن لكى يفعل فيهم الإيمان ويخلقه، ولو كان ذلك من خلقه لكان إنزال القرآن ليس بسببٍ له، ولا هو ممن يفعل به، فكان لا وجه له ألبتة. وإذا حملناه على ما قلناه، يصح؛ لأنه يكون باعثًا لهم على الإيمان وداعيًا لهم.

٧٥١ - وقوله: ﴿**وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا**﴾(٢) فغير دال على قول المجبِّرة فى أن أفعال القلب من قبله تعالى، وذلك أن

(١) سورة الحديد: الآية ٩.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

obeikandi.com

ظاهره يقتضى أنه جعل فى قلوبهم الرأفة والـرحمة، وكذلك نقول؛ لأن رأفة القلب ورقتـه هما من فعله تعـالى، وإن كان المراد بها النعـمة، فمـتى قرنت بالقلب، فالمراد بهـا ما ذكرناه، والله تعالى هو الذى يخلق القلوب مـختلفة: ففيها ما يختص بالقسوة، وفيها ما يختص بالرحمة والرأفة.

وأما الرهبـانية فلم يذكر تعالى أنـه جعلها، وإنما ذكرها، ثم خـبر أنهم ابتدعـوها، وبين أنه تعالـى ما كتـبهـا عليهم، ومـا ألزمهم إياها إلا ابتـغاء مرضـاته، وأنهم مارعوها حق رعـايتها، فـخرجوا عنهـا إلى المعاصى، ولم يتمسكوا بها، ولم يدوموا عليها.

٧٥٢ - وقوله تعالى: ﴿**لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾(١) وتعلقهم بذلك فى أن العبد لا يقدر على فعله؛ لأن الفضل من فعله، فبعيد، وذلك أن ظاهره إن دل، فإنما يدل على أن العبد لا يقدر أصلاً، على ما يقوله جهم(٢) والقوم وإن جـعلوا فعله خلقًـا لله، تعالى فإنهـم يثبتـونه قادرًا فى الحقيقة على الفعل، فكيف يصح تعلقهم به؟

وبعد، فإن الفضل إذا أضيف إلى الله تعالى. فالمراد به ما يختص بفعله من النعم، فلا يصح ما ذكروه.

على أن الآية واردة فى ذكـر الرسل، فـبين تعـالى أن أهل الكتـاب لا يقدرون على إرسال الرسل، ولا يتـعلق ذلك باختيارهم، وقد ذكـر تعالى ما يدل على ما قلناه، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ**﴾(٣) ثم عقبه

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٩.

(٢) هو الجهم بن صفوان، مولى بنى راسب من الأزد، وإليه تنسب فرقة الجهمية.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٨.

بهذه الآية، وبين أن أهل الكتـاب لا اختيار لهم فى هذا البـاب، وقال بعده: ﴿**وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ**﴾[1] وأراد به النبـوة التى يضعـها مـواضع المصلحة، على قدر إرادته ومشيئته.

***

(١) سورة الحديد: الآية ٢٩.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٧٥٣ - مسألة: قوله تعالى فى كـفارة الظهار: ﴿**فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا**﴾[١]، مع إجماع الأمة على أن من يدخل فى الصيام، فلا يكون مستطيعًا، ويكون فرضه الصوم دون الإطعـام، يدل على بطلان قـولهم فى أن القـدرة مع الفـعل، وأن من ليس بصائم، ولم يدخل فيه، فهو غير مستطيع له فى الحقيقة.

٧٥٤ - وتعلق المشبهة بقوله: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**﴾[٢] فبعيد، وذلك أنه متى حمل على ظاهره، يتناقض، لأنه إن كان رابعًا لثلاثة فى مكان، استحال كونه رابعًا لغـيرهم فى سائر الأماكن، والظاهر يقتـضى كونه رابعًا لكل ثلاثة تناجوا. وقد بينا أنه لا يمكنهم القول بأنه معهم إلا مع القول بأنه جسم؛ لأن هذه اللفظة لا تطلق إلا فيما هذا حاله، خصوصًا فى الأماكن والأشخاص.

فيجب أن يحمل الـكل على أن المراد به: أنه عالم بأحوالهم، وأنهم لا يقـدرون على أن يسـتـسـروا بما يتناجـون، دونه، ولذلك خـص من يتناجى بذلك، دون غيرهم - والمشـبهة لا تقول بأنه تعالى عـند النجوى يحصل فى المكان أو مع العبد، وفى سـائر الأحوال يغيب - منبهًـا بذلك على أن إخفاء النجوى إنما يصح على العباد دون الله تعالى.

٧٥٥ - وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[٣] فلا يدل على أنه - تعالى - يريد أضرار الشيطان، وذلك

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٤.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٧.

(٣) سورة المجادلة: الآية ١٠.

obeikandl.com

أنه تعالى بين أن الشيطان بوسوسته يريد أن يغمهم، وأن ما يفعله ليس بضارهم فى الحقيقة؛ لأنهم يعدلون عما يقتضيه داؤه ووسوسته.

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أراد: إلا بأن يحدث تعالى الغم فى قلوبهم بما يحدث من الأمور، فيكون حادثًا من جهته. أو يريد بذلك ما يفعله القوم من الغم عند أمر الله تعالى بذلك، فيكون المراد بالإذن الأمر على الحقيقة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ وإضافته ذلك إليه يدل على أنه لم يخلقه لأنه لو خلقه، لم يكن لإضافته إلى الشيطان وجه؛ من حيث علم أن دعاءه لا يؤثر فى حصولهم منهم، وإنما يجب وجوده عند خلقه تعالى، وهذا ظاهر.

٧٥٦ - وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1] فى بيان المنافقين. من أدل الدلالة على أنه تعالى لا يخلق الذهاب عن الحق لأنه لو خلق ذلك، لم يضف الصد عن سبيل الله إليهم، على ما بيناه.

٧٥٧ - وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[2] لا يدل على أن الإيمان من خلقه تعالى؛ لأن الكتاب لا يفيد ذلك. والمراد عندنا: أنه تعالى يسم قلوبهم بعلامة من كتابة أو غيرها، ما يدل على أنهم مؤمنون مستحقون للثواب، لتفرق الملائكة بينهم وبين المطبوع على قلبه الذى يستحق الذم. وقد بينا القول فى ذلك.

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١٦.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

obeikandl.com

وقد قال بعـضهم: إنه تعالى أراد أنه يثـبت فى قلوبهم الحفظ، والعلم بالشرائـع، ولطف لهم فى التمـسك بها، فوصـف نفسه من هذا الـوجه بأنه كتب فى قلوبهم الإيمان.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٧٥٨ - قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾[١] تعلقوا به فى أن خروجهم يجب أن يكون خلقًا لله تعالى، وقد بينا فى مواضع أن ذلك يوجب أنه تعالى يوصف به؛ لأنه إن كان يوصف بأنه أخرجهم من حيث خلق الإخراج الذى هو خروجهم، فيجب أن يوصف... الظلم بأنه ظلمهم. وهذا مما لا يقول به مسلم. ولو كان ذلك حقيقة لما جاز أن يصفهم فيقول: ﴿**مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا**﴾[٢] فيضيف الخروج إليهم.

فالمراد بذلك: أنه تعالى لما أمر بإخراجهم، وتخريب منازلهم، وإجلائهم إلى الشام، جاز أن يقول تعالى على طريق الامتنان على النبى، ﷺ، بهذا القول.

٧٥٩ - وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا**﴾[٣] فالمراد أنه كتب فى الحقيقة وأخبر بذلك، ثم وقع الأمر على ما أخبر به. يدل ذلك على أن تعذيبهم فى الدنيا من القتل وغيره كان يقوم مقام الجلاء، فيما يقع به من المصلحة. وهذا يدل على ما نقوله فى اللطف، وأن فيها ما يقوم مقام غيره.

٧٦٠ - وقوله: ﴿**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[٤] لا يدل على أن قطعهم من خلقه، وذلك أن الإذن قد يكون الأمر والإعلام، على ما بينا. ونحن نحمله على الأمر فى الحقيقة، لأنه تعالى أمرهم بقطع تخيلهم، لما فيه من المصلحة.

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢.
(٢) سورة الحشر: الآية ٢.
(٣) سورة الحشر: الآية ٣.
(٤) سورة الحشر: الآية ٥.

obeikandi.com

٧٦١ - وتعلقهم بقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ**﴾[١] فى أن الشُحَّ والبخل من فعله، فيصح أن يقيه العبد، وأن يفعله به؛ فبعيد، وذلك أن ظاهره يقتضى أنه جُنِّب البخل، وليس فيه ذكر من جنبه ذلك، وأزاله عنه، فلا يدل الظاهر على ما قالوه، وإن كان لا يمتنع أن يحمل الشح على ما يختص به البخيل من ضيق القلب عن العطايا، وهذا هو من خلقه تعالى.

٧٦٢ - وقوله تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾[٢] لا يدل على أن فعل القلب من خلقه تعالى، لأن الفعل لا يمتنع عندنا أن يكون ما يحصل فى القلب من شدة الشهوة بالنعم، فيكون كالباعث له على الحسد والخديعة، فسألوا زوال ذلك، وقد بينا أن الدعاء بالفعل لا يدل على حال ذلك الفعل وكيفيته، وعلى أن جنسه لا يقدر عليه إلا الله تعالى، مشروحًا فى غير موضع.

٧٦٣ - وقوله تعالى: ﴿**لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[٣] يدل على أن من استحق النار لا يفوز بالجنة، والنجاة منها، وإلا كان يجب أن يكون قد ساووا أصحاب الجنة فى ذلك، وقد نفاه الله تعالى ومنع منه. وذلك يحقق قولنا فى الوعيد.

٧٦٤ - وقوله: ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ**﴾[٤] لا يدل على أن العبد لا يفعل؛ لأن وصفه نفسه بذلك، لا يمنع من أن غيره بمنزلته. هذا لو أطلقنا القول بأن العبد يخلق، فكيف ونحن تمتنع منه، وإنما نقول بالإطلاق إنه يفعل، وعلى

---

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

(٢) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٣) سورة الحشر: الآية ٢٠.

(٤) سورة الحشر: الآية ٢٤.

التقيـيد نصفه بالخلـق، كما ذكر تعالى فـى عيسى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾[1].

٧٦٥ - وقد بينا أن قوله تعالى: ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[2] يدل على أن أفعاله حسنة، وإلا وجب أن يكون فى أسمائه خلاف ذلك.

٧٦٦ - وقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾[3] يدل على أنه منزه عن القبائح؛ لأن التقديس هو التطهير، ولو جاز أن يفعل القبائح لم يختص بذلك.

* * *

(١) سورة الحشر: الآية ١١٠.
(٢) سورة الحشر: الآية ٢٤.
(٣) سورة الحشر: الآية ٢٣.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

٧٦٧ - أما تعلقهم بقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ**﴾[١] فى أنه يدل على أنهـا - تعالى - قد لا يجـيب النبى إلى ما يدعـو به، وأنه يغفر للكفـار، فبعـيد، وذلك أن ظاهره الآية ليس إلا أنه وعد أن يستغفر له، ولا يوجب ذلك العلم بحـال ما سأل عنه، وكيفته، على ما ذكرناه فى الدعاء، فـالتعلق بظاهره لا يصح. وقد قال: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ**﴾[٢] فبين أنه وعـده أنه يؤمن، ويعدل عن عبادة الأصـنام إلى عبادة الله تعالى، فـعند ذلك وعده إبراهيم بالاستـغفار، فلما ثبت على كفره تبرأ منه، وترك الاستغفار له.

وبعد، فإن غفران الكفار يحسن عندنا فى العقول، فلو أريد به الظاهر، لصح، وإنما يمتنع عندنا سمعًا.

٧٦٨ - وتعلقـهم بقوله تعـالى: ﴿**رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[٣] فى أنه تعالى ينزل بالمؤمن الأمور التى معها يشمت الكافر، فليس فى ظاهره أكثر من أنهم سـألوا ألا يجعلهم فـتنة لهم، وقـد يكونون كـذلك بأمور من قـبله فى الحقيقة، وظاهره لا يدل على ما قالوه.

والمراد بذلك: أنه يصـرف عنه المحن الـتى عندها يفـرح الكفـار بهم، ويلحقهـم الغم به، ويفرحهم، فيكون فـتنة، ومشقة جـديدة، وقد يجوز أن يريد بذلك أن يبت أقدامهم، ويقويهم، ولا يقوى العدو حتى يغلبهم، فيكون ظفرهم فتنة لهم.

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٤.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ٥.

obeikandl.com